HACI BAYRAM-I VELÎ

IV. ULUSLARARASI HACI BAYRAM-I VELÎ SEMPOZYUMU

EDİTÖRLER
VAHİT GÖKTAŞ
HARUN ALKAN

ilâhiyât 390

Hacı Bayram-ı Velî / IV. Uluslararası Hacı Bayram-ı Velî Sempozyumu
Editörler: Vahit GÖKTAŞ, Harun ALKAN

Yayın Kurulu
Ethem CEBECİOĞLU
Vahit GÖKTAŞ
Mustafa AŞKAR
A. Cahid HAKSEVER
Harun ALKAN
Öncel DEMİRDAŞ
Mehmet YILDIZ

ISBN 978-605-69780-5-0

1. Baskı: Ekim 2019

Sertifika No: 44396

Mizanpaj: Tavoos
Sayfa Düzeni: Tavoos
Kapak: MAKGRUP MEDYA PRO. REK. YAY. A.Ş.
Baskı: İvme Tanıtım Tasarım - Sertifika No: 43251

ilâhiyât
Cinnah Cd. Kırkpınar Sk. 5/4 Çankaya / Ankara
Tel: (0312) 439 01 69 Faks: (0312) 439 01 68
ilahiyatyayin@gmail.com

جسور التواصل الروحي بين مشايخ صوفية المغرب و تركيا و دورهم في تمتين الروابط

إعداد الأستاذ الدكتور حميد لحمر
جامعة سيدي محمد بن عبد الله / فاس– المملكة المغربية

بسم الله الرحمن الرحيم
و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و المرسلين،
و بعد.
السيد رئيس الجلسة المحترم
السادة العلماء والحضور الكرام
طاب مجلسكم المبارك ،و تحية طيبة مباركة ف :"سلام قولا من رب رحيم"

يسعدني في مستهل هذه المداخلة المختصرة ،أن أقدم خالص شكري الجزيل و امتناني لمشيخة الطريقة البيرمية بأنقرة ،ولجميع فروعها بمختلف أنحاء دولة تركيا العظيمة ،ويحق لها أن تفخر و تسعد بالحاج الشيخ بايرم وطريقته الصوفية السلوكية الأخلاقية الوسطية المعتدلة و مثيلاتها بهذه الأرض المباركة، كما يسعدني أن أقدم خالص شكري لجميع الأطر الإدارية المشرفة و الجهات المتعاونة معها ، على الاستمرار في تنظيم هذا اللقاء العلمي الكبير و الذي أصبح سنة سنوية و هي الآن تعيش دورتها الرابعة احتفاء بالشيخ الكبير ، المربي التقي النقي الحاج بايرم ، – رضي الله عنه – و أرضاه، و تقبل الله منه وأحسن مثواه وطيب

تراه ، فقد أسعدتني دعوتكم الكريمة ، و أسأل المولى عز و جل ، أن يحقق المقاصد والغايات إنه سميع مجيب الدعوات .

أيها الحضور الكرام :

أنبه في البداية على أن التواصل الروحي المشار إليه في عنوان هذه المداخلة – حسب ما عرف عند الصوفية– ، هو تواصل يفوق الحواس و المسافات و الماديات ، كما أنه سر لا يعلم عمق تأثيره و يعيشه ويتذوقه إلا من استجمع و تحقق فيه صفاء الروح و طهارة القلب بذكر مولاه حتى يبلغ درجة الطمأنينة القلبية ، و القرب من الله ،فيتحقق فيه قوله سبحانه : " ألا بذكر الله تطمئن القلوب " .

و نحن ، اعتبارا لأهمية و دور عملية التواصل الروحي ،و التي يمكن القول أنه منحة ربانية لدنية ، خص الله بها أولياءه و أصفياءه الممدوحين في قوله تعالى :" ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون " .وفي الحديث النبوي الشريف الوارد في صحيح الإمام البخاري :"الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، و ما تنا كر منها اختلف " كتاب أحاديث الأنبياء ، باب الأرواح جنود مجندة .

و لذلكم كان مما تنفرد به فئة من أهل الله و أصفياءه ، وهي على هذا الحال من التواصل الممكن ، أن تستطيع أن تتقارب روحيا بينها ، و تتآزر بينها ، لأنهم يشربون من إناء و مورد واحد ، و يؤهلهم هذا التواصل للعب أدوار كثيرة تقرب بينهم أكثر ، هذا أولا .

الاعتبار الثاني : أنه تكريما لولي الله الصالح المصلح ، الشيخ الحاج بايرم ، الذي كان سببا في جمعنا هذا ، هذا الجمع الذي و بلا شك سيعود – بحول الله – بالرحمة و المغفرة على روحه الطاهرة ، في ذكرى مناسبة سنويته المباركة هاته التي نجتمع فيها .

ثالثا : كلكم يعلم العلم اليقين ، و يقدر الجهد والدور الكبير الذي لعبه الشيخ الحاج بيرم ، في العمل على تأليف قلوب إخواننا الأتراك ، و ما ربطته طريقته من تواصل روحي مع باقي الطرق الصوفية المحلية،و توحيد كلمتهم ، ومساهمته في الحفاظ على الأمن الروحي للمجتمع التركي الكبير ،

و نحن معكم في الاقتناع بهذه الاعتبارات كلها ، و غيرها كثير ، و هو مما لا يتسع الوقت وحيز المقال لاستعراضها ، اخترت أن يكون موضوع مداخلتي في هذه الندوة المباركة حول :

جسور التواصل الروحي بين مشايخ صوفية المغرب و تركيا
– ودورهم في تمتين الروابط –

فأقول : أنه مما يؤكد عليه رجال التربية الروحية والسلوكية الصوفية من خلال تجربتهم ، و كذا مجموعة من الدارسين لعلم السلوك والتصوف ، أنه و من خلال التحليل لمعنى قوله تعالى :" و في أنفسكم أفلا تبصرون " أن النفس البشرية و من خلال ما ركب الله سبحانه فيها ، هي عبارة عن عالم غريب مليء بالقدرات و الطاقات الخارقة ، و أن الإنسان إذا تمكن من إدراك حقيقتها أمكنه الاستفادة منها ، الاستفادة الكبرى المتنوعة ، و منها الاتصال الروحي الذي إذا تمكن الإنسان – عموما – من إتقان آلياته الشرعية المعتبرة ، وبشكل دقيق إيجابي ، أنه بالتأكيد قد يلعب دورا كبيرا في حياة الشعوب و التقريب بينها، و أن هذا الاتصال الروحي يتوقف على روح شفافة نقية صافية مشبعة بطاقة روحية نورانية و التي عادة ما يكون مصدرها الأوراد – معتمد أهل التصوف – و هي في مجموعها عبارة عن سلسلة الأذكار اليومية التي يعتمدها الشيخ و مريدوه وفق منهج معتمد لديه في ممارستها و تطبيقها ، وهي التي يمكن اعتبارها البرنامج اليومي الضروري اللاعب دور تواصل الأرواح ، – و على الخصوص – عند توفر القاسم المشترك – و هذا أساسي ،و أعني به الطريقة الصوفية الواحدة المشتركة – .

فالطرق الصوفية ذات المصدر الواحد ، المشبعة من المورد الواحد ، ذات المسلك الواحد و الورد الواحد ، لابد أن تتواصل أرواح رجالاتها و مريديها – بقدرة قادر – حتى لو تعددت مشايخها و مدارسها الفرعية ، وكذا حتى لو تباعدت أقطار بلدانها ، و تنوعت أجناسها ، و تفاوتت أعمار مريديها ، فتواصلهم الروحي حاضر ، بحضور الممارسة العملية لمشتركهم الوردي اليومي و الأسبوعي و الشهري أو السنوي ، المأذون فيه من شيخ الطريقة .

وسوف لن يختلف كل من جرب أو درس الموضوع ، في أن القواسم المشتركة –و على الخصوص – في عالم التصوف لمما يساعد على تآلف الأرواح بينها ، بعد تنورها و بلوغها مستوى الصفاء الكافي ،وإن الحديث النبوي الشريف السالف الذكر لمما يساعد على توضيح ذلك ، و الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه و سلم :" الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، و ما تناكر منها اختلف" و لعلماء التصوف كلام كثير حول معنى هذا الحديث .

و إن هذا التعارف له سبله و طرقه ، و مناهجه ، و رجاله المؤسسون ، و بعدهم

مريدوهم ممن تولوا المشيخة بعدهم ،و عملوا و سهروا على التلقين لمواد سلوكهم و تربيتهم بعد إذن شيوخهم ، و هي كثيرة و متعددة ، أحدثت خلال أزمنة و فترات، فتنوعت بتنوع رجالاتها و اختلاف مناهجها ، لكنها في الأخير ، تؤدي لمقصد واحد يوحد بينها عند نقطة النهاية ، غير أن ما تشابه و تقاطع منها في المصدر ، يكون مهيئا و مستعدا أكثر في التآلف .

ويؤكد خبراء الموضوع أنه عند تآلف الأرواح ، تكون فرصة التواصل الروحي القلبي أكثر استعدادا و قابلية ، و ذلكم له أسبابه و طرقه و مناهجه ، والتي منها :

1-تنقية و تصفية الروح و صقلها بالورد اليومي أولا الملقن من قبل الشيخ، و الذكر الجماعي وفق توجيهات السادة مشايخ السلوك ، المأذون لهم بها من لدن مؤسس الطريقة .

و تحدثنا كتب التاريخ أن هناك مجموعة من المشايخ ممن اعتنوا بموضوع التصوف من رجالات الغرب الإسلامي وساهموا بشكل فعال في مد جسور التواصل الروحي ، وساهمت طرقهم كذلك في الصيانة و الحفاظ على الأمن الروحي لدى إخواننا الأتراك ، حتى اشتهروا بين شيوخ صوفية شعبي مجتمعينا الشقيقين – المغربي التركي – ، وحتى أصبحت طرقهم عبارة عن قواسم مشتركة بين البلدين ،و من هؤلاء ممن بلغت شهرتهم شأنا كبيرا و تجاوزت سمعتهم و طريقتهم خارج حدود بلاد نشأتها ، واستطاعوا زرع بذور طريقتهم في البلاد التركية ، و أصبح لهم أتباع ،و بهم و أورادهم مدوا جسور التواصل الروحي ، منهم الثلاثي التالي :

-أولا : الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي الحاتمي ولد سنة 558هـ 1164م/ وتوفي سنة 638هـ /1240م

-ثانيا: الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي المغربي من قبيلة الخماس الجبلية ت 656هـ

-ثالثا : الشيخ أحمد التيجاني .ولد سنة 1150هـ الموافق ل 1737م وتوفي سنة 1230هـ الموافق ل 1815م

و عليه فيمكن اعتبار هذا الثلاثي ، هم أحد جسور التواصل الأساسية الثلاثة من بين شيوخ مشايخ الطرق الصوفية المغربية التركية ، كما و أنهم يمكن اعتبارهم : ثلاثي صناع استقرار الأمن الروحي بالبلدين معا .

و قبل الحديث عن هؤلاء الثلاثة ، لابد أن نؤكد أنه وفقا لما جاء عند المؤرخين

للحركة الصوفية في تركيا ، أن هذا الأخير نشأ في تركيا بسبب ما طرأ على هذا البلد من وفادة مشرقية و غرب إسلامية .و استقر في رقعة من تركيا كانت خصبة يمكن أن تستنبت فيها بذور التصوف و هي مدينة قونية ، هذه المدينة التي اشتهرت كونها تحولت إلى عاصمة روحية بامتياز لدولة تركيا . قصدها و نزل بها كبار أقطاب أعلام التصوف من مختلف البلاد المشرقية و الغرب إسلامية .

كما تسجل كتب التاريخ ،أن هذه المدينة عرفت توافد العلماء الكبار من رجالات الصوفية العالميين منذ بداية القرن السادس الهجري . فلعل من الطرق الصوفية الأولى التي ظهرت بتركيا طريقة جلال الدين الرومي المتوفى سنة 672 هـ ابن البيئة القونية الروحية الصوفية . كما اشتهرت الطريقة البكتاشية ، و التي تنسب إلى الحاج بكتاش ابن البيئة الخراسانية ت 646هـ ، و هذا الأخير ممن شد الرحال في مرحلة شبابه إلى الأناضول ، و إلى جانب هذه الطرق اشتهرت بتركيا الطريقة النقشبندية و التي تنسب إلى محمد بهاء الدين نقشبند، ابن مدينة بخارى بأوزبيكستان في النصف الأول من القرن الثامن المتوفى سنة 791هـ .

و على العموم ، فأغلب المؤرخين للتصوف بتركيا ، مجمعون على أن هذه الطرق الصوفية تعتبر من أكبر الطرق انتشارا بتركيا ، ووجد إلى جانب هؤلاء الأعلام من الصوفية ، أعلام صوفية كبار آخرين من أقصى الغرب الإسلامي شدوا الرحال ، أو شخصيات تخطت طرقهم الحواجز لتحط الرحال إلى جانب أخواتها بتركيا ، لعبت دورا كبيرا في مد جسر التواصل بين أقصى بلاد الغرب الإسلامي و تركيا ، و نسجت خيطا روحيا رفيعا مستقيما بين البلدين ، و قد ساعد على هذا و شجع عليه السلاطين السلاجقة والعثمانيين ، ورحبوا بصوفية الغرب الإسلامي ، و قدموا لها كامل الاحترام و التقدير ، و يمكن حصر الأعلام الصوفية المغاربة الذين عملوا على تأسيس جسر التواصل بين أقصى الغرب الإسلامي و تركيا ، و ترتيبهم حسب وفياتهم على الشكل التالي:

1-شخصية الجسر الأول هو: الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي ت 638هـ

هو محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي المغربي الشهير بمحيي الدين بن عربي ، صاحب الطريقة الأكبرية ، و ما تنسل منها من شعب ، [1]مثل

[1] - منسوبة إلى محي الدين بن علي بن عربي الحاتمي انظره في السلسبيل المعين صفحة : 63-64

الطريقة الحاتمية ، و لد في الأندلس في مدينة مرسية سنة 558 للهجرة و توفي عام 638 للهجرة .

و يعتبر الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي صاحب الطريقة الأكبرية ، من أوائل الشخصيات الصوفية التي خرجت من أقصى الغرب الإسلامي ، من مدينة فاس قادما من الأندلس ، و الأندلس وقته تساس و تحكم من قبل سلاطين المملكة المغربية – في عهد المرابطين و الموحدين – ، ثم يستقر فترة طويلة في مدينة فاس ، و كان له معتكف في مسجد الخيل بباب عجيسة بفاس ،و لا زال المسجد الذي كان يتعبد و يتنسك فيه قائما لحد الآن ، و من مدينة فاس سيشد الرحال إلى بلاد الشام و يتجول في رحابها إلى أن يستقر به الحال و المقام في المدينة الصوفية و العاصمة الروحية التركية ، مدينة قونية ، و فيها سيلقى ترحابا شديدا ، و على الخصوص من قبل الأسرة الحاكمة السلجوقية التي كانت تميل و تدعم التصوف و الصوفية – كما هو معروف – ، و ستسعفه البيئة القونية و الأسرة السلجوقية لنشر أفكاره الصوفية و كذا إكمال تدوين كتابه الضخم الموسوعي :» الفتوحات المكية «[2] و بذلكم سيكون ابن عربي أول شخصية صوفية أندلسية مغربية ستعمل على نقل بذور التصوف المغربي إلى تركيا ، و سيعمل على غرس شجرة طريقته المعروفة بالطريقة الأكبرية أو الحاتمية بهذه الأرض الطيبة ، و قد كان هذا في أواخر النصف الثاني من القرن السادس .

و في تقديري أن ابن العربي الحاتمي سوف يكون أول شخصية صوفية مغربية تمتد رحالها نحو تركيا ، وسيعمل على مد جسر التواصل الصوفي بين تركيا ، و أقصى الغرب الإسلامي .

كما تسجل كتب التاريخ أن بدخوله مدينة قونية ببلاد تركيا ، و نشره لأفكاره و مبادئه الصوفية ، ستظهر شخصية صوفية رائدة ، دخلت قونية قادمة من بغداد العراق هو جلال الدين الرومي محمد بن محمد بن حسين البلخي المولود سنة 604 للهجرة و المتوفى سنة 672 للهجرة . و هو لا يتجاوز السن التاسعة عشرة ، ليلتقي هناك بشخصية صوفية كبيرة أثرت فيه كثيرا و ساهمت في تكوينه هو الشيخ شمس الدين التبريزي المتوفى سنة 645 للهجرة ،و لا أستبعد أن يكون جلال الدين الرومي قد نال شيئا عن الشيخ الأكبر ابن عربي الأندلسي المغربي .

[2] – كتاب الفتوحات المكية لان عربي الحاتمي كتاب ضخم في ستة مجلدات ضخام طبع في دار صادر بيروت لبنان بدون تاريخ الطبع

و بذلكم يمكن اعتبار شخصية ابن عربي الحاتمي الأندلسي المغربي ، هو أول شخصية صوفية ستساهم في نشر التصوف عموما في مراحله الأولى بتركيا الكبرى ، إلى جانب كل من : جلال الدين الرومي ، وشيخه شمس الدين التبريزي ت 645 هـ في القرن السابع الهجري .

2-شخصية الجسر الثاني هو : الشيخ أبو الحسن الشاذلي المغربي ت 656هـ

هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي الزاهد الصوفي ، و الذي إليه تنسب الطريقة الشاذلية و لد سنة 571 للهجرة ، بقبيلة الخماس الغمارية الجبلية المغربية ، و هو تلميذ مولاي عبد السلام بن مشيش بالمغرب ، و كان له عليه تأثير قوي في تكوينه و توجيهه السلوكي ، و بعد الإلمام و الأخذ بالمبادئ الأساس في التصوف بالمغرب ، توجه نحو تونس ، وتونس آنذاك كانت تابعة للمغرب و تساس من قبل الامبراطورية المغربية و حكامها ، و هناك سيتلقى مبادئ أخرى زيادة على ما حصل عليه بالمغرب عند شيخه الأول مولاي عبد السلام بن مشيش ، ثم انتقل بعد هذه المحطة إلى مصر ، حيث استقر به المقام في الإسكندرية ، و هنا سيكثر مريدوه و تنتشر طريقته بشكل ملفت للنظر ، و تتشعب طريقته إلى شعب كثيرة منها : الشاذلية الوفائية[3] منسوبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد وفا الأنصاري و الشاذلية الأحمدية [4] والشاذلية البرهانية [5] و الزاوية الفاسية أسسها أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي توفي سنة 1013 للهجرة [6] و الطريقة الشاذلية الجنيدية و التي تنسب لأبي حامد العربي بن أحمد الدرقاوي من رجال القرن الثالث عشر توفي سنة 1239 للهجرة ببني زروال ، ثم الشاذلية الناصرية[7] و غيرها .

وقد شاع خبره بين المريدين الذين كانوا يقصدونه ، و مشايخ الصوفية الآخرين . و حول قيمة و أهمية طريقته يقول الشيخ العارف أبو الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي توفي سنة 903 للهجرة دفين مدينة فاس من رجال القرن العاشر :» ليس في الوجود أعلى

[3] – و هي منسوبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد وفا الأنصاري ،انظر كتاب عقد الجوهر الثمين صفحة 98

[4] – و هي شعبة كبيرة من الشاذلية منسوبة إلى الإمام أبي العباس أحمد بن علي إبراهيم الشهير بالبدوي انظره في الرحلة العياشية 299/2 و السلسبيل المعين صفحة 69-74.

[5] –شعبة من الشاذلية منسوبة إلى الشيخ برهان الدين إبراهيم الدسوقي ، انظره في الرحلة العياشية 299/2 و السلسبيل المعين صفحة 137-138.

[6] – انظر كتاب كيف نشأ التصوف في الإسلام لمحمد بن عبد الحي الكتاني صفحة 193

[7] – انظر المصدر السابق صفحة 196-197

من طريقتين : طريقة سيدي عبد القادر الجيلي ، و طريقة سيدي أبي الحسن الشاذلي [8] »

و قال أيضا عندما تكلم على العلم اللدني :» أو نحو هذا مما اندثر من أول الكلام ، و أظهره الله في الوجود على طريقتين : طريقة سيدي عبد القادر الجيلي ،و طريقة سيدي أبي الحسن الشاذلي ، و أظهر دوامه الآن على طريقة أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي ، و إمداده من الطريقة الشاذلية « [9] .

و حول مبادئها يقول شيخ الجماعة بفاس الشيخ أبو محمد عبد القادر بن أحمد الكوهن الفاسي دفين المدينة المنورة في فهرسته لما ذكر الطريقة الشاذلية قال :» و أرويها صحبة و اقتداء و تلقينا عن الشيخ « إلى أن يقو ل :» طريقته مبنية على اتباع السنة في جميع الأقوال و الأفعال ، و العبادات و العادات ، و مجانبة جميع البدع في ذلك كله ، و كسر النفس مع إسقاط التدبير و الاختيار ، و التبري عن الدعوى و الاقتدار ، و قطع الطمع عن المخلوقين ، و الإعراض عن الدنيا ، و كثرة الذكر آناء الليل و أطراف النهار ، و السلوك بكلمة الإخلاص ، و المذاكرة في كلام القوم ، و الصمت عما لا يعني ، و الورع و الزهد ، و التقوى و التجريد ، الظاهري و الباطني « انتهى كلامه [10]

و يقول الشيخ محمد عبد الحي الكتاني الحسني في كتابه كيف نشأ التصوف في الإسلام مؤصلا للطريقة الشاذلية :» الطريقة الشاذلية ترجع إلى القادرية من غير ما وجه و اعتبار ، و قد ظهرت الطريقة الشاذلية في المغرب الأقصى ، بل و المغارب الثلاثة ، ظهورا كبيرا ، بحيث تفرع عنها و على قياديها ، زوايا عديدة و طرق شهيرة ، اشتهرت على أسماء مجدديها الذين راجت باسمهم و ألقاب بيوتاتهم ، فعرفهم الناس ، و سميت الطريقة بأسمائهم ، أو أسماء بلدانهم ، و إلا فهي شاذلية نسبة و اقتداء .....ثم تفرعت الطريقة الشاذلية في المغارب الثلاثة ، بل و المشرق إلى فرعين ساميين ، و شيخين كبيرين :

-الإمام أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي السملالي الحسني الموجود قبره بمراكش.

[8] - انظر سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس للكتاني 234/2 -235

[9] -انظر نفس المصدر السابق

[10] - انظر كتاب كيف نشأ التصوف في الإسلام لمحمد بن عبد الحي الكتاني صفحة 199-200

–و عارف و عالم عصره : أبو العباس أحمد بن أحمد زروق البرنسي الفاسي دفين مسراتة بليبيا .[11]

و في هذه المرحلة أيضا ستنتقل الطريقة الشاذلية نحو الضفة الأخرى للبحر المتوسط ، إلى الأناضول بتركيا ،و الآستانة و إستنبول و قونية العاصمة الروحية لتركيا ، كما ساهم حكم تركيا لشمال إفريقيا في نقل الطريقة الشاذلية إلى أوساط دوائر المريدين و المشايخ أيضا . فحصل بذلكم تجاوب روحي و استنبتت بذرة الطريقة الشاذلية بالتربة التركية .

فمثل الإمام أبو الحسن الشاذلي بهذا الجسر، النموذج الثاني المهم من ثلاثية جسور التواصل الروحي بين المغرب و تركيا ، و خلف أتباع و مريدين يسلكون نهج طريقته إلى الآن ، و هي في تزايد و انتشار مستمر .

و قد احتلت الطريقة الشاذلية مكانة رفيعة لدى السلطة العثمانية و على الخصوص في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ،هذا الذي انتمى للطريقة الشاذلية البشرطية حتى أصبح من مريدي الشيخ محمود أبو الشامات ، و الذي كان يستقر في دمشق ،و له مجموعة من المريدين في تركيا أيضا ، و استمر السلطان عبد الحميد في علاقته بالشيخ إلى أن وافته المنية ، و قد أبدى السلطان عبد الحميد الثاني تعاطفا و اهتماما كبيرا – في الواقع – بجميع الطرق الصوفية التي انتشرت في عهده – بطبيعة الحال للاستفادة منها في مجالات شتى ، منها الجانب السياسي – الذي كان يهدف إلى الحصول على تأييد مشروع الجامعة الإسلامية المنشودة .

و تزودنا كتب التاريخ بالرسالة التاريخية التي بعث بها السلطان عبد الحميد لشيخ الطريقة الشاذلية يظهر فيها انتماؤه وتعصبه للطريقة الشاذلية و المواظبة على ممارسته لأورادها ،و التماس دعوات شيخها، حيث قال فيها :

" الحمد لله .....أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية ، و إلى مفيض الروح و الحياة ، شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات ، و أقبل يديه المباركتين ، راجيا دعواته الصالحات ، سيدي : إنني بتوفيق الله تعالى أداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلا و نهارا ، و أعرض أنني لا زلت محتاجا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة "

و معلوم أن الرسالة كان وراءها مآرب و أهداف متنوعة ، لكن الذي يعنينا منها ، أن الطريقة منتشرة ، وفرضت نفسها في المجتمع التركي و تحضى بالتقدير و الاحترام. و رغم

[11] – انظر في كتابه كيف نشأ التصوف في الإسلام صفحة : 161-162

بعد شيخ الطريقة عن مركز الخلافة ، و لعله كان يهدف بذلكم محاولة استمالة الأتباع الشاذليين الداخليين و كسب ودهم ودعمهم أيضا ، فهو هنا يحاول أن يوظف في عبوره لمآربه جسر العامل الروحي .

3-شخصية الجسر الثالث هو:الشيخ أحمد التيجاني ت 1230هـ

هو أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد سالم التيجاني الشريف الحسني يتصل نسبه بالإمام محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن مولانا علي و سيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيد المرسلين صلى الله عليه و سلم .ولد في قرية عين ماضي عام 1150للهجرة الموافق ل : 1737م و توفي بفاس عام 1230 للهجرة الموافق ل 1815م و دفن بزاويته بالحومة المعروفة بالبليدة من محروسة فاس .

و تحكي كتب التاريخ ، أنه لما بلغ إحدى و عشرين سنة ''21'' من عمره رغب في طلب علم التصوف فسافر سفرته الأولى إلى مدينة فاس العاصمة العلمية و الإدارية للمملكة المغربية سنة 1171 للهجرة قاصدا كبار رجالات التصوف و الشيوخ العارفين من حاضرة فاس العالمة ، و عند دخوله فاس قصد السلطان أبا الربيع سليمان و بايعه ، و عند استقراره انتشر صيته في فاس .

و هو ثالث و آخر شخصية صوفية مغربية كبيرة ستعمل على مد جسر التواصل الروحي الصوفي بين المغرب و تركيا الكبرى ، و ستنتشر انتشارا لا بأس به في عصرنا الحالي بجهات متنوعة بتركيا و على الخصوص في أنقرة ،كما يجمع المؤرخون على أن السلاطين العثمانيين هم الذين احتضنوا و مكنوا لهذه الطريقة الصوفية من الانتشار و شجعوا على اتباعها و اعتناقها ، و الراجح أن يكون أول عهد و لقاء للسلاطين العثمانيين كان خلال إدارتهم و حكمهم لشمال إفريقيا ، و هي تنتشر —كما ذكرنا سلفا – في مدينة أنقرة و الأناضول ، و يذكر عباس محمود العقاد في كتابة : بين الكتب و الناس''قال أن :'' محمد المختار عبد الرحمن الشنقيطي قد أعطى عهد التيجانية لوالي مصر محمد سعيد باشا ، و كان دخول الطريقة التيجانية إلى البلاد التركية على يديه ''[12] و الآن بدأت تمتد إلى جهات أخرى بالجمهورية التركية ، وقد اشتهر من بين رجالاتها ممن عمل على نشرها و الدعاية لها الشيخ كمال بيلاف أوغلو التيجاني ،و خليفته الشيخ عبد الرحمن بالجي .

[12] -انظره في كتاب بين الكتب و الناس لعباس محمود العقاد صفحة 325

و بهذا استطاعت الطريقة التيجانية الفاسية المغربية أن تلقي بظلالها على ربوع كثيرة من بلاد تركيا الكبرى و تصنع جسرا روحيا بين رجالات و مريدي البلدين ،تلتقي فيه الأرواح ببركة قاسم الأذكار المشتركة بينهما ، و لم تقف المسألة عند هذا الحد ،بل كبار مشايخهم يقصدون أحفاد الشيخ بفاس المحروسة للإذن لهم و إلى يوم الناس هذا . كما أن أشهر و أهم كتب الطريقة تجاوزت الحدود ، و إن من أهمها مما طبع قديما :

1-كتاب جواهر المعاني و بلوغ الأماني في فيض سيدي أحمد أبي العباس التيجاني .للشيخ علي حرازم بن العربي برادة الفاسي .

2-و كتاب :رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم .للشيخ سيدي عمر بن سعيد الفوتي الطوري .

و كلاهما يشرح أصول الطريقة و شعائرها بالأدلة .

و يمكن اعتبار أن هذه مثل هذه الجسور لمما يقرب بين الشعوب ، و يؤاخي و يربط بينها برباط الحبل الروحي المتين ، إلى جانب الأخوة الدينية الأصل .

الخاتمة :يمكن القول في خاتمة هذه المداخلة أنه :

1-الطرق الصوفية المغربية عرفت طريقها نحو بلاد تركيا في وقت مبكر، منذ منتصف القرن السادس و بداية القرن السابع ، و أن أول شخصية صوفية قصدت بلاد الشام من أقصى الغرب الإسلامي ، و امتد رحالها إلى تركيا ،و استقرت في العاصمة الروحية الصوفية قونية ، هو الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الحاتمي الأندلسي المغربي ، و قد كان هذا في وقت مبكر ،مرحلة التأسيس للمدارس الصوفية و طرقها بتركيا ، فيمكن اعتباره أحد مؤسسي الحركة الصوفية في تركيا إلى جانب كل من : جلال الدين الرومي المتوفى سنة 672 هـ و هو ابن بيئة قونية . والشيخ محمد بهاء الدين نقشبند، وهو ابن مدينة بخارى بأوزبيكستان في النصف الأول من القرن الثامن المتوفى سنة 791هـ .

2-أنه بعد الشيخ الأكبر ابن عربي ، ستعرف البيئة التركية طرق صوفية مغربية الأصول و الجذور ، عرفت انتشارا واسعا في تركيا منها : الطريقة الشاذلية الغمارية الخماسية المغربية ، و بعدها الطريقة التيجانية المغربية الفاسية ، و كلها لا زالت منتشرة لحد الآن بالمغرب ،كما تنتشر و بكثرة في مجموعة كثيرة من الدول منها : الدول المغاربية إلى مصرو السودان ، وكذا تنتشر في الدول الغرب إفريقية و دول الساحل و غيرها من دول إفريقيا الشرقية ، و كذا في اوربا .

3-أن بلاد تركيا كانت بلد استضافة أولا ، و استقرار ثانيا ، لأغلب رجالات التصوف

و أن منهم: الشيخ الأكبر ابن العربي ، و قد شجع هذا حتى أنه كانت تشد إليها الرحال من جهات متعددة ، حتى غدت مدينة قونية ، العاصمة الروحية الصوفية لتركيا ، و من مدينة قونية ستنتشر نحو جهات أخرى ، و لذلكم عرفت مجموعة من الطرق الصوفية المتنوعة .

4-أن دعم وتشجع سلاطين الدولة التركية لهذا النوع من التعبد ، شجع على التقاء طرق كثيرة و متنوعة بتركيا ، تلاقحت بينها ، و يسرت في عملية التواصل بينها أيضا ، رغم تباعد أقطار مؤسسيها و مشايخها ، و منها الطرق الصوفية المغربية الثلاث السالفة الذكر .

5-أن التصوف في هذا الوقت ، و على الخصوص في القرن السابع و الذي بعده إلى وقت السلطان عبد الحميد الثاني،غدا تابثا من التوابث الدينية التي ترعاها الدولة التركية ، و توليها العناية اللازمة .

6-ساعد هذا الاهتمام بالتصوف و كونه تابثا من التوابث ، على نشر مؤلفاته المتنوعة و لمجموعة كثيرة من الشيوخ ، أصحاب الطرق الصوفية .

7-رافقت عملية النشر للمؤلفات الصوفية و توزيعها على أوسع نطاق ،و تبادلها ، على تنشيط الاعتكاف عليها و مدارستها في إطار تعرفها أولا ، و التعريف بها ثانيا و بأصحابها .

8-صاحب هذا أيضا ، التنظيم لحلقات ذكر الطرق . لخلق جو روحي، تتقاطع فيه أفئدة المريدين رغم اختلاف مشاربهم .

9-أن حضور الطرق الصوفية المغربية بالتراب التركي لا بأس به ،كما و أن طرقه تمثل كبريات الطرق الصوفية التي لقيت قبولا و انتشارا واسعا، و لذلكم عملت على صناعة جسر ، يربط المريد المغربي ، بشقيقه التركي ، المشارك له في الطريقة .فكان إلى جانب أخوة الدين أن تولد لدى المريد أخوة الطريقة التي يلتقي فيها مشرب المسلك و المنهج الروحي .

10-وإن ما نحضره في هذا الجمع المبارك ، على أرض العاصمة أنقرة المباركة ، بمناسبة ذكرى سنوية الشيخ الحاج بايرم – رحمه الله و رضي عنه – و الذي ينظم تحت إشراف الزاوية البيرمية ،و جهات متعاونة ، هو من بركات هذا المسلك في التدين،وزاويته البيرمية ، و قد ساهمت في جمع جسور ثلاثة صوفية: جسر الطريقة الأكبرية و الشاذلية

و التيجانية، و الجميع يعتبر قواسم مشتركة بين صوفية مشايخ تركيا، و صوفية مشايخ المملكة المغربية .

انتهى بحمد الله و فضله و جوده و كرمه

حرره عبيد ربه حميد بن محمد لحمر العايدي

الإدريسي الحسني الفاسي

بتاريخ : 2019/3/03

المصادر و المراجع :

-القرآن الكريم .

-بين الكتب و الناس لعباس محمود العقاد دار المعارف مصر العربية .

-التطورات المعاصرة في العلاقات العربية التركية للدكتور خليل إبراهيم الناصري مطبعة الراية بغداد 1990

-الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا للدكتور أحمد نوري النعيمي .

-مقال: لماذا رعاية الدولة العلوية للطريقة التجانية للدكتور عبد العزيز بنعبد الله بالموقع الإليكتروني لوزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية مجلة سنة 1986.

-الرحلة العياشية لأبي سالم العياشي طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

-الرحلة الحبيبية الوهرانية الجامعة للطائف العرفانية لخديم الحضرة التجانية ذات المواهب الربانية تأليف أحمد بن الحاج العياشي سكيرج دراسة و تحقيق محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي .

-روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية تأليف عبد الكبير بن هاشم الكتاني الحسني تحقيق الدكتور محمد العمراني دار الأمان 2014م

-سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس تأليف محمد بن جعفر الكتاني طبع دار الثقافة الدار البيضاء .

-شجرة النور الزكية في طبقات علماء المالكية لمحمد مخلوف .

-الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى لأحمد الناصري

-السلطان عبد الحميد و العرب ، الجامعة الإسلامية و أثرها في احتواء القومية العربية للدكتور عبد الرؤوف سنو بيروت 2005.

-الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها و نشاطها تأليف صالح مؤيد العقبي مكتبة الشروق دار البراق .

-الخلافة العثمانية للدكتور عبد المنعم الهاشمي دار ابن حزم بيروت لبنان 2004.
-تاريخ الجامعة السورية البداية و النمو عبد الكريم رافق طبع 2004.
-فهرس الفهارس و الأثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات تأليف محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ت 1382هـ بعناية إحسان عباس دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1982م .
-الفتوحات المكية لمحيي الدين بن عربي طبع دار صادر لبنان بيروت .
-نشر المتاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني ، تأليف محمد بن الطيب القادري ت 1187هـ تحقيق محمد حجي و أحمد التوفيق مكتبة الطالب الرباط الطبعة الأولى 1986م.
-النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب ، تأليف ابن صعد التلمساني تحقيق محمد أحمد الديباجي ، دار صادر الطبعة الأولى 2011م.
-النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة تأليف يوسف بن ثغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ت874هـ وزارة الثقافة و الإرشاد القومي دار الكتب مصر .
-نور الحدائق في إجازة الشيخ محمد الصادق تأليف الشيخ محمد عبد الحي الكتاني تحقيق خالد بن محمد المختار البدوي السباعي دار الحديث الكتانية الطبعة الأولى 2014م.
-نيل الابتهاج بتطريز الديباج تأليف أحمد بابا التنبكتي ت 1039هـ تحقيق الدكتور علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى 2004م .
-وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان تأليف أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي الإربلي ت 681هـ تحقيق إحسان عباس ، طبع دار صادر بيروت لبنان الطبعة الأولى 1971م